

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَهُ حَتَّى أَحْلَنِي الْكَرَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِي يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَاتِّصَالُ الْبُعْدِ كَانَ نَادِرَةً فِي الْحِفْظِ، مَقَامَاتٍ، وَقَدْ ظَهَرَ فِي فَنِهِ حُبُّهُ الشَّدِيدَ لِلزَّخْرِفِ اللَّفْظِيِّ وَالصَّنْعَةِ الْبَدِيعِيَّةِ، شَرَحَ وَتَقْدِيمَ مُحَمَّدٍ عَبْدَهُ، ط3، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟ أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّيْبُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ إِلَى الصِّدَارِ أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ، فَقَبِضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَزْفَتَهُ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقْمِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ زِنَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلَوَاءِ، وَانْضَدَّ عَلَيْهَا أَوْزَاقُ الرُّقَاقِ، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، لَوْلَوِي الدُّهْنُ، كَوَكْبِي اللَّوْنُ، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ وَجَرَدَ وَجَرَدْتُ، مَا أَحْوجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشْعِشِعُ بِالتَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَةَ، وَيَفْتَأَ هَذِهِ اللَّقْمَ الْحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَفَاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرِبَةٍ مَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، وَقَالَ: أَيْنَ تَمَنُّ مَا أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفًا، فَلَكَمَهُ لَكَمَةً، وَتَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ